بائعة «الكازوزة» الحسناء

للأستاذ علي الجندي

تتردد على جسر الخديو إسماعيل وما جاوره من شوامي النيل ، فتاة في زي القرويات سمت من يدعوها « هنـد » يجلس بجوارها في أغلب الأحيان رجل أحسبه يمت إليها بصلة القرابة ، ولعل مهمته الأولى أن يحرسها من ذئاب البشر الضارية

هذه الفتاة على حظ عظيم من جمال الفطرة البريء من الصنعة . وقد اعتادت إذا مر بها المتنزهون في ذهابهم وجيئهم أن تعرض عليهم بضاعتها في بشاشة ورقة وأدب

وحدث أنني كنت أرتاد هذه البقعة متفرجا في بعض الليالي المقمرة ، فررت بها مصادفة — مصادفة يا وزارة المعارف — فابتسمت لي وقالت بصوت يقطر لينا : تعال يا أمير (قر) اشرب كازوزة . وقد منعني ما أصطنعه من وقار للرجين من تناول شرابها المثلج ، ولكنني استطعت أن أرد على التحية بأحسن منها !

وحاولت جاهداً أن أتخلص من تأثير كلمتها (يا أمير) فلم أستطع ! فقد خالطت مني اللحم والدم ، وفعلت في فعل السحر ! كنت أظن — وبعض الظن إثم — أنني جاوزت مرحلة الشباب ، فأعادت لي هذه الكلمة الثقة بنفسي وقلبي ! وتركتني ألتفت إلى الماضي أستحضر صوره المحببة ! ناثراً الدمع في دمن الأنس العافية ، وأطلاله الدوارس !

وبخضوبة الأطراف ، مُخْطَفة الحشا
على الشَّطِّ تخطو في دلال وفي خَفَرْ
يميس بها سُكْرُ الشباب فتنثني
كغصنٍ زَهَتْه الريحُ أو شادنٍ خَطِر
تكاد السباع[1] المقعيات حيالَه تخفُّ إليها صابيات مع البشر
تجلاها الجمال النضر في ثوب فاقةٍ وما حاجة الغيد الغواني إلى الحبر؟
وهل عابها أن تَعْدَم الوَشْيَ والحلى
وقد أطلعت من وجهها بُلجةَ[2] السحر؟
إذا صفقت بالظامئين تهافتوا عليها كنحل هاجه مونق الزهر
وما يهمُو بردُ الشراب ، وإنما
نفوسٌ توافت من رداها على قدر
إذا هي هشَّت للورود ، فإنها
— وإن نعمت بالرِّي — لا تحمد الصَّدَر

(١) المراد بها تماثيل السباع بالجسر والضمير في (حياله) للشط
(٢) إسفار الفجر

عفا الله عنهم ! إن شفوا غُلَّةَ الصَّدى
فمن لجوى بين الجوانح يستعر ؟
ترى الشرب حول الورد شتى ، فلافظٌ
حشاشته وجداً ، وآخرُ ينتظر
ومن صادرٍ عنه بهجة واله تكاد من الشوق المبرِّح تنفطر

* * *

مررتُ بها — كالطيف — أسترق الخطا
أحاذرُ أن أصبو ، وهل ينفع الحذر ؟
فما راع سمعي غيرُ صوت مُنَغَّمٍ
يُخالُ — لقرطِ اللين — ترنيمةَ الوتر
تقول — وبدرُ التم في الأفق سافرٌ
يُفضِّض تِبْرَ النيل — : أبكما القمر ؟
هَلُمَّ إلى راح طهورٍ تُديرُها
عليك رَدَاحٌ[1] زان أجفانَها الحَوَر
ستشربها صِرْفاً ، وإن شئتَ مَزْجها
فدونك صفوَ الشهد من ثغرى المَطِر
تألقتِ اللذاتُ : ماءٌ وخُضرةٌ
ووجهٌ كصبحٍ تحت جُنحٍ من الشَّعَر
وهذا النسيم الرَّطْبُ يَنفح بالشَّذا
فيفعل بالألباب ما يفعل السُّكْر[2]
خُذْ بنصيب من هناءٍ مُعجَّلٍ فإن الليالي غيرُ مأمونة الغِير
فقلتُ لها : خلِّي التصابي لأهله
فما للمُسَرِّي في جَنَى الحسن من وطر
إليكِ ، فلي « بالضاد » شُغلٌ عن الصبا
وفي الدين عن وصل الكواعب مُزدجر
دعيني ، فمالي والهوى — قُتلَ الهوى — !
ألم يكفِ ما حُمِّلتُ في زمن غبر ؟
أرِقتُ ونام الناس مِلءَ جفونهم
أبكِّي لظبي صدَّ ، أو جُؤذَرٍ نفر
فمن ذاق منه الأعذبَيْن فإنني لقيتُ به التبريح والهم والسهر
فلا تنكئي قرحاً بقلب دملته[3] على لوعة حرى ، ووجدٍ قد استتر
ألم تُبصري فوْدي تنفس صبحه وكان حبيباً للدُّجى ليله العكر

(١) صمين نصفها الأسفل (٢) نبيذ التمر (٣) طويته

وما ذاك مِن مَرِّ السنين ، وإنما
لبستُ بياض الشيب فى مَيْعة العُمُر
جناه على رأسى زمانٌ مُذمَّمٌ يشوب لنا صفو اللذائذ بالكدر
ربيعٌ ولا خصب، وظلٌ ولا ندًى وماء ولا رىٌّ ، وروض ولا ثمر
شقائىَ أنى بين قومى دُرَّةٌ وقد خلقوا تمشى عيونهم الدرر
ولو أنهم هانوا علىَّ ، وسَمْتُهم
على الأنف ، لكنْ مَن له شيمتى غفَر
أشيد لهم مجداً ويأبى سِفاههم
سوى هدمه ! هل يستوى النفع والضرر؟
تَواصَوْا على أكلى — وفى لحمىَ الردى —
وما فى الشُّهى أن تُؤكلَ الحيّةُ الذكر

* * *

تولّى زمان اللهو « يا هند » فاعذرى
وأقصرَ عما كان من غَيِّه « عُمَرْ »(١)
كفتنا — على برْح الجوى — منك نظرة
وفى دِين أهل الشعر لا يُحرُم النظر
سقى الغيثُ عهداً كم دعانى به الهوى
فلبيتُ ، لا أُعنَى بمن لامَ ، أو عذَر
زمانَ فؤادى بالحسان مُوكلٌ إليهن أسعى بالأصائل والبُكر
شفيعى إليهن الصبا ، ووسيلتى رَقائقُ أشعارٍ يلين لها الحجر
مرابع غِزلان تعفَّت ، ولم تكن
سوى مُتعة الآذان والقلب والبصر
نديمى بها « سُعْدَى » وريقتها الطلى(٢)
وروْحى وريحانى الأحاديث والسَّمَر
كأنّ فؤادى يُسْعَر الجمرُ فوقهُ
— إذا عادت الذكرى — ويُوخز بالإبر

* * *

وحيّاك عنّا الله يا « هند » كلما
تخطرتِ بالشطّين ، فاستضحك النهر
ودام لك الوجهُ الصبيح ، ولا ذَوَى
عليك شبابٌ من صِبا « الخلد » مختصر
نظمنا لك الشعر النضير قلادةً ترف على رمانتىْ غصنك النضر
إذا ظفرتْ حسناء منه بحلية فاضر أن يفرى بها البدو والحضر

على الجندى

(١) المراد به : ابن أبى ربيعة ، وهند يراد بها صاحبته أو صاحبتنا والتورية لطيفة هنا (٢) عصير العنب المطبوخ

ترنيمة الرياح ...

للأستاذ ميخائيل نعيمة

هلّمى ، هلمى يا رياحْ وانسجى حول نوى وشاح
من خرير الغديرْ واهتزاز الأثير
واختلاج العبير فى دموع الصباحْ
هلّمى ، هلّمى يا رياح !

طوّقينى بنور النجومْ وافتحى لى قصور النيومْ
واتركينى هناك فوراء السماك
قد لمحت ملاك باسطاً لى الجناحْ
هلّمى ، هلّمى يا رياح !

ها أنا يا ملاك النعيمْ يا رسول الإله الرحيم
ما عساك تشاء من تراب وماء
فيهما ألف داء ما لها من براحْ ؟
صفّقى ، صفّقى يا رياح !

ما أنا يا ملاكى السعيد غير طيف شريد طريد
علّمته الحنينْ عاديات السنين
فاستطاب الأنين واسترقّ النواحْ
صفّقى ، صفّقى يا رياح !

أتردّى رداء المنونْ وأداوى الأسى بالظنون
كل فكرى عناد كل قلبى سواد
كل دربى قتاد كل عيشى كفاح
قهقهى ، قهقهى يا رياح !

كان لى فى قديم الزمان مرتع فى رياض الجنان
بعثته بالوعد هل تراه يعود
لو نكثتُ العهود والتمستُ السماحْ
قهقهى ، قهقهى يا رياح !

يا ملاكى ، ألا من مآب لطريد براه العذاب ؟
إنْ يعزّ الرجوع أفلا من هجوع
لغريب الربوع يا ملاك الصلاح ؟
ولولى ، ولولى يا رياح !

قل ، لماذا اعتراكَ الذبول هل تراك نظيرى تجول
فى رحاب الفضا نادماً ما مضى

[البقية فى ذيل الصحة التالية]